العندية المضافة إلى الله في القرآن الكريم: دراسة موضوعية في دلالات الاستئثار والتفرد

The Construct of ʿIndiyyah Attributed to Allah in the Qur'ān: A Thematic Study of Its Indications of Exclusivity and Uniqueness

محمد أمين حسيني [1] * عبد السلام بن مقبل المجيدي [2]

[1] كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، قطر mhocini@qu.edu.qa
[2] كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، قطر almajeedy@qu.edu.qa

تاريخ الإرسال: 2025/09/27 تاريخ القبول: 2025/12/12 تاريخ: النشر: 2026/01/30

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة العندية المضافة إلى الله تعالى، باعتبارها دالة على الاستئثار والتفرد الإلهي. وتتمثل إشكالية البحث في تحديد المواضع القرآنية التي وردت فيها هذه الصيغة، والكشف عن القضايا المحورية التي تناولها القرآن الكريم من خلالها، ثم استنباط السمات والمعالم القيمية والتربوية المستفادة منها. وقد توصّل البحث إلى مجموعة من النتائج، من أبرزها: أن عندية الاستئثار تعبر عن الانفراد الإلهيّ بالأمورِ العظيمةِ علمًا وملكًا وتصرّفًا وقدرةً؛ على وجهٍ لا يشاركه فيه أحد مهما علت منزلته، وتَتمثل غايتُها المحورية في ترسيخ هذا المبدأ من خلال تصحيح التصورات والمفاهيم في شتى القضايا والمجالات. كما أن من أبرز ثمرات الإيمان بالعندية الدالة على الاستئثار والتفرّد الإلهي ترسيخَ مبدأ التسليم لله تعالى وتعميقَ الافتقار إليه، ومعرفةَ حدود العلاقة بين العبد وربّه، فضلًا عن تحقيق الراحة والطمأنينة النفسية.

الكلمات المفتاحية: عند الله؛ العندية؛ الاستئثار الإلهي؛ التفرد الإلهي؛ التفسير الموضوعي.

* المؤلف المرسل

DOI: https://doi.org/10.55781/rsic.v11i1.589

Abstract:

This study examines the Qurʾānic *ʿinda Allāh* construction as a marker of exclusive divine prerogative and singularity. It maps the Qurʾānic loci where this wording occurs, identifies the central themes the Qurʾān advances through it, and distils the attendant ethical and pedagogical implications. The findings indicate that ʿindiyyat al-istiʾthār articulates God's unshared sovereignty over weighty matters—knowledge, dominion, disposition, and power—in a manner that admits no participation by any being, however exalted. Its governing aim is to entrench this principle by rectifying perceptions and conceptions across diverse domains. Among the fruits of faith in this ʿindiyyah are the consolidation of submission to Allah S.W.T, a deepened dependence upon Him, and a clearer grasp of the bounds of the servant–Lord relationship, yielding inward repose and tranquility.

Keywords: ʿInda Allāh, ʿIndahū, ʿIndiyyah, Divine exclusivity, Divine Uniqueness, Thematic exegesis.

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

تنوعت أساليب القرآن الكريم وتراكيبه في التعبير عن تفرّد الله سبحانه وتعالى بالعلم والتصرّف، ومن أبرزِ تلك الأساليب والتراكيب العنديةُ المضافةُ إليه تعالى بمختلف صيغها، كما في قوله تعالى: (يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ) [الأحزاب: 63]، وقوله تعالى: (وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ) [الأنعام: 59]؛ إذ تعبّرُ عن الاختصاص والاستئثار الإلهي علمًا وقدرة وتصرّفًا؛ فترسّخُ في المسلم هذا المبدأ العظيم الذي هو من صميم العقيدة الإسلامية فيثمر فيه معاني العبودية الحقة التي من أبرز مظاهرها الاستسلام والخضوع لله تعالى والثقة بنصره وتأييده وسابغ فضله وجوده. وبناء عليه، جاء هذا البحث لدراسة العندية المضافة إلى الله تعالى دراسة موضوعية في دلالات الاستئثار والتفرّد.

الإشكالية:

من الدلالات البارزة لأسلوب العندية المضافة إلى لفظ الجلالة دلالةُ الاستئثارِ الإلهيّ بالعلمِ والتفرّدِ بالقدرةِ والتصرّفِ، وقد تكرر هذا المعنى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ما دفعنا إلى التساؤل: ما المواضع التي وردت فيها العندية بهذا المعنى؟ وما صيغ العندية التي دلّت عليه؟ وما الموضوعات الرئيسة والقضايا المحورية التي تطرّق إليها القرآن الكريم عبر هذه الصيغة؟ وأخيرا، ما المعالم والسمات التربوية والقيمية التي يمكن استنباطها بالنظر الكلّي للعندية بمعنى الاستئثار الإلهي؟

أهمية البحث وسبب اختياره:

تتجلى أهمية هذا البحث في كونه يتجاوز التناول المعروف لمفهوم "العندية" في القرآن الكريم، والذي غالبًا ما يقف عند حدود دلالتها الظرفية (المكانية أو الزمانية) إلى إثبات أن "العندية" تؤسس لمفهوم عقدي مركزي، هو "الاستئثار الإلهي المطلق" بخصائص لا يشاركه فيها أحد.

أما سبب اختيار البحث فيعود إلى أن هذا العمق الدلالي لمفهوم "العندية" كأصل للاستئثار الإلهي لم يحظَ بالعناية البحثية الكافية التي تليق به؛ فالدراسات إما تناولته بشكل عابر ضمن موضوعات أخرى، أو ركزت على جانبه الظرفي. لذا، يأتي هذا البحث ليسدّ هذه الثغرة المعرفية، عبر تحليل المواضع القرآنية ذات الصلة، والكشف عن الأبعاد العقدية والقيمية التي يرسخها هذا المفهوم، مما يمنح البحث جدّته وأصالتَه العلمية.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يأتي:

1. تأصيل مفهوم "العندية" بوصفه مصطلحًا دالًا على الاستئثار الإلهي بالعلم والقدرة والتصرف.
2. استقراء المواضع القرآنية التي تجلّى فيها هذا المفهوم.

3. الكشف عن الحقول الموضوعية والقضايا المحورية (كالغيب) التي ارتبطت بمفهوم " العندية".

4. استنباط المعالم التربوية والسلوكية المترتبة على ترسيخ مفهوم" العندية" الإلهية.

الدراسات السابقة:

توصّلنا – من خلال الاطلاع على المصادر العلمية والأكاديمية المتاحة– إلى مجموعة من الدراسات التي يظهر أن لها صلةً بموضوع البحث، ولو في إطار عام. وسنعرض فيما يأتي أبرز هذه الدراسات مع تعقيب موجز عليها:

أ– دراسة بعنوان: العندية في القرآن الكريم[1]، جاء في مقدمة البحث أنها تطرقت في المبحث السابع إلى ما اختص الله تعالى به نفسه وذلك في مطلبين[2]: الأول: أمور غيبية لا يعلمها إلا الله، ومن ذلك (الملائكة[3]، علم الساعة، مفاتيح الغيب)، والثاني: أمور كونية لا يعلمها إلا الله. وبالنظر فيما تناولته تبين لنا أنها إشارات موجزة. ويبدو أن الباحثة لم تهدف إلى دراسة العندية الدالة على ما اختص الله تعالى به، إذ إنها لم تستقرئ جميع المواضع الواردة في القرآن الكريم. وفي المقابل، فإن بحثنا الحالي يهدف إلى حصر جميع مواضع العندية الدالة على الاستئثار والتفرّد الإلهي في القرآن الكريم، ودراستها دراسة موضوعية شاملة؛ للكشف عن أبرز معالمها وسماتها.

ب– دراسة بعنوان: آيات العندية كما جاءت في القرآن الكريم دراسة عقدية[4]، تقع في 229 صفحة، ويبدو من عنوانها أنها عُنيت بمناقشة العندية في مجال العقيدة (الإلهيات والنبوات والسمعيات). وقد أشارت إلى عندية الاستئثار والتفرد في الفصل الأول (آيات العندية في الإلهيات)، وعرضت بعض الأمثلة دون استقصاء جميعا، كما لم تنظر إليها نظرة موضوعية متكاملة، تسمح باستنباط أهم معالمها وسماتها، وهذا ما سيقوم بحثنا بإنجازه.

ج – دراسة بعنوان: العندية المضافة إلى لفظ الجلالة في القرآن الكريم: دراسة موضوعية في بعدها المعياري[5]، تتناول دلالة مغايرة تماما لما تبحثه الدراسة الحالية، ومع ذلك؛ فإن بينهما تكاملا؛ لأن كلا منهما يعالج جانبا لم تتعرّض له الأخرى.

يتبين مما سبق، أن الدراسات المتاحة لم تتناول العندية الدالة على الاستئثار والتفرّد الإلهي على النحو الذي يرمي إليه هذا البحث؛ إذ يسعى إلى دراستها دراسة استقرائية شاملة بغرض تشكيل تصوّر كلي عن العندية في معناها المتصل بالاستئثار الإلهي. وبذلك يسدّ البحث الحالي ثغرة علمية في هذه الجزئية، ويقدم إضافة نوعية لميدان الدراسات القرآنية.

حدود البحث:

دراسة العندية المضافة إلى الله تعالى في دلالتها على الاستئثار والتفرد حصرا، وذلك في جميع المواضع التي وردت في القرآن الكريم بمختلف صيغها.

منهج البحث:

اعتمد الباحثان المنهج الاستقرائي الكامل وذلك بتتبع جميع المواضع القرآنية التي وردت فيها العندية بمختلف صيغها، مثل: "عند الله"، و "وعنده" وغيرها، مع الاقتصار على ما يدلّ على الاستئثار الإلهي والتفرّد بالعلم والقدرة والتصرّف. كما اعتمدا المنهج التحليلي لدراسة تلك الآيات في ضوء نصوص التفاسير القديمة والمعاصرة؛ للكشف عن دلالاتها وخصائصها وما يرتبط بها.

خطة البحث:

بعد المقدمة قسمنا البحث إلى ثلاثة أقسام: الأول: مفهوم العندية الدالة على الاستئثار والتفرّد الإلهي. ثانيا: مواضع العندية الدالة على الاستئثار والتفرّد الإلهي. ثالثا: معالم العندية الدالة على الاستئثار والتفرّد الإلهي وسماتها. وأخيرا، اختتمنا البحث بخاتمة تضمّ أبرز النتائج والتوصيات.

1. مفهوم العندية الدالة على الاستئثار والتفرّد الإلهي

1.1 مفهوم العندية في اللغة

ذكر الجوهري في تاج الصحاح: "وأما عند: فحضورُ الشيء ودنوُّه... وهي ظرف في المكان والزمان، تقول: عند الليل، وعند الحائط"[6]. وتستعمل مجازا للدلالة على الملك والاختصاص كما

في قوله تعالى: (قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ) [الأنعام: 109] "فَكَلِمَةُ (عند) هُنا مَجازٌ، اسْتُعْمِلَ اسْمُ المَكانِ الشَّدِيدِ القُرْبِ في مَعْنى الِاسْتِبْدادِ والِاسْتِئْثارِ مَجازًا مُرْسَلًا؛ لِأنَّ الِاسْتِئْثارَ مِن لَوازِمِ حالَةِ المَكانِ الشَّدِيدِ القُرْبِ عُرْفًا؛ كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وعِنْدَهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ﴾ [الأنعام: 59]"[7].

2.1 التعريف الإجرائي

إن مفهوم عندية الاستئثار والتفرّد الذي نقصده في هذا البحث: الاستئثارُ الإلهيّ بالأمورِ العظيمةِ والجليلةِ علما ومُلكا وتصرّفا وقدرة؛ على وجهٍ لا يشاركه فيه أحد مهما علت منزلته، ومن ادّعى هذه الخصيصةَ لنفسه أو نسبها لغير الله تعالى فقد جانب الصواب، وتمثل هذه العندية مظهرا من مظاهر عظمته تعالى وكمال ربوبيته.

2. مواضع العندية الدالة على الاستئثار والتفرّد الإلهي

نستعرض في هذا العنصر مواضع العندية الدالة على الاستئثار والتفرّد الإلهي في القرآن الكريم، وباستقراء جميع مواضع العندية المضافة إلى الله تعالى بمختلف صيغها[8]، ومع التأمل في سياقاتها، وجدنا أن العندية الدّالة على الاستئثار والتفرّد الإلهي وردت 22 مرة بخمس صيغ مختلفة[9]، كما هو مبيّن في الجدول:

الصيغة	عدد مرات ورودها
عند الله	9 مرات
عنده	7 مرات
من عند الله	3 مرات
عند ربي	2 مرة
عندنا	1 مرة

وفيما يأتي عرض لمواضع العندية الدالة على الاستئثار والتفرّد الإلهي[10]:

1.2 الموضع الأول والثاني

وردت العندية بمعنى الملك والاستئثار بالتصرف في سياق الحديث عن غزوة بدر وذلك في موضعين، الأول في سورة آل عمران، في قوله تعالى: (وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ) [آل عمران: 126]، والموضع الثاني في سورة الأنفال في قوله تعالى: (وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [الأنفال: 10].

وتهدف الآيتان إلى تقرير أمرين رئيسين:

الأول: تثبيت المؤمنين وطمأنتهم، وحثّهم على التوجّه إلى الله تعالى؛ إذ إن النصر من عنده وحده، فلا موجب للخوف، فما عليهم إلا أن يتحققوا بشروط النصر التي حدّدها مانحُ النصر[11].

والثاني: تنبيههم إلى أن تحقّق النصر وإنجاز الوعد الإلهي لا ينبغي أن يفضي إلى الاعتقاد بأن للأسباب –الملائكة في حالة بدر– يدا في النصر، فمعنى قوله تعالى: (وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ) "وما ظفرُكم إن ظفرتم بعدوّكم إلا بعون الله، لا من قِبَل المدد الذي يأتيكم من الملائكة"[12].

إن الإمداد بالملائكة وكثرة العدد وغيرها من العوامل لا تعدو أن تكون وسائط يُجريها الله تعالى لتحقيق النّصر؛ فلا ينبغي الاتكال عليها عند وجودها، كما لا يصحّ أن يؤدي فقدُها إلى الخوف واليأس[13]؛ فحقيقة النصر من عند الله تعالى، وهذه أسباب وعوامل لا تستقلُّ بالتأثير دون إرادته ومشيئته تعالى. بل إنه سبحانه قادرٌ على تحقيق النصر دون الأسباب والعوامل المعتادة، وهذا الذي أفادته العندية التي دلّت على الملك والاستئثار المطلق بالتصرف[14].

وبالرغم من الاختلاف الملاحظ في خاتمة كلّ آية، فإن مؤداهما واحد، وكلاهما يؤكد حقيقة أن النصر من عند الله لا من غيره. وخَتْمُ الآيتين بصفتين من صفات الله تعالى: العزيز الحكيم، مشعرٌ بأن هذا الأمر خاص به ولا يشاركه فيه أحد[15].

تهدف العندية في هذين الموضعين إلى تقرير حقيقة أن الله تعالى هو المتفرّد بالتصرف، ومن ذلك تحقيق النصر، بما يقطع كلّ طمع في أن يكون من عند غير الله تعالى. وفي الوقت الذي تؤكد فيه العندية أن مصدر النصر هو الله تعالى تقرّر أن الإمداد بالملائكة، وبثّ الفرقة بين العدو، والتأثير في الظروف الطبيعية (كإرسال الرياح) وغيرها ما هي إلا أسباب ووسائل من تقدير الله تعالى.

2.2 الموضع الثالث

قال تعالى: (أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٞۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ[16] وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا) [النساء: 78].

يعيب القرآن الكريم على قومٍ[17] تصوّرَهم الفاسد لفكرة جوهرية متعلقة بالتصرّف في الأمور[18]، فكانوا إذا أصابهم خيرٌ من رخاءٍ ونصرٍ وغنيمةٍ وفتحٍ وتوسعةٍ وغير ذلك من المحبوبات نسبوا ذلك لله تعالى وتقديره، وإذا أصابهم شرٌّ من شدّةٍ وابتلاءٍ وهزيمةٍ وضيقٍ وشبهِ ذلك نسبوه إلى النبي ﷺ والإسلام على وجه التشاؤم[19].

فردّ الله عز وجلّ عليهم هذه المقالة وأبطل هذه الفكرة الفاسدة وعلّم النبي ﷺ كيف يردّ عليهم فقال تعالى: (قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ) أي: "كلُّ ذلك من عند الله، دوني ودون غيري، من عنده الرخاءُ والشدةُ، ومنه النصرُ والظفرُ، ومن عنده الفَلُّ والهزيمةُ"[20]. "بَلْ وُقُوعُ الأُولى مِنهُ تَعالى بِالذّاتِ تَفَضُّلًا، ووُقُوعُ الثّانِيَةِ بِواسِطَةِ ذُنُوبِ مَنِ ابْتُلِيَ بِها عُقُوبَةً"[21]؛ فقرّر الله عزَّ وجلَّ بأسلوب العندية أصلًا عظيمًا من أصول الاعتقاد وهو أن "مفاتح الأشياء كلَّها بيده، لا يملك شيئًا منها أحدٌ غيرُه"[22].

ثم نادى عليهم بقلة الفهم إذ كيف يجهلون هذه حقيقة استئثارُ الله تعالى بالتصرّف المطلق في كلّ شيء وأن كلا من عنده: فقال تعالى: (فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا). ومما

يكشف خلل تصوّرهم، تفسيرُهم للحوادث وفق أهوائهم ورغباتهم؛ إذ فرّقوا بينها فجعلوا بعضها من الله تعالى وبعضها من غيره؛ فهي تفرقةٌ لا تصدر إلا عن عقل غير منضبط التفكير[23].

3.2 الموضع الرابع

قوله تعالى في سورة الأعراف: (وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْص مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ 130 فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَة يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [الأعراف: 130- 131].

يظهر في هذا الموضع تقارب مع الموضع السابق من حيث دلالة العندية على الاستئثار والتفرّد الإلهي بالتصرف وملكية كلّ شيء؛ إذ تعرض الآية الكريمة حادثةً مشابهةً لقومٍ بنفس العقلية العجيبة والتصوّر المنحرف الذي عوتب عليه الذين ذُكروا في سورة النساء، مع اختلاف الزمان والمكان؛ مما يوحي بأنها عقلية موروثة بين أصحاب الأهواء والمنحرفين.

فإذا نزلت بآل فرعون الحالة الحسنة مما يحبون من الخير والعافية والرزق قالوا: هذا لنا ونحن أولى به، ولم يشكروا الله عليه، وإذا جاءتهم الحالة السيئة مما يكرهون من الابتلاء والجدب والتضييق، قالوا متشائمين: هذا كلّه بسبب موسى ومن معه وبسبب دعوته[24].

فردّ الله عزّ وجلّ عليهم بقوله: (أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ) "سَبَبُ شُؤْمِهِمْ مُقَدَّرٌ مِنَ اللَّهِ"[25] "أيْ: قَدَرُهُمُ الَّذِي سَبَقَ في الأزَلِ مِنَ الخَيْرِ والشَّرِّ فَلا يُزْدادُ ولا يُنْقَصُ ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أيِ: المَلِكِ الَّذِي لا أمْرَ لِغَيْرِهِ وقَدْ قَدَّرَ كُلَّ شَيْءٍ، فَلا يَقْدِرُ عَلى المَجِيءِ بِهِ غَيْرُهُ أصْلًا"[26].

وبين أن منشأ هذه المقولة الشنيعة –التي ينبغي ألا يقولها عاقل– إنما هو الجهل وغياب العلم فقال تعالى (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ): "أيْ: لا عِلْمَ لَهم أصْلًا فَهم لا يَهْتَدُونَ إلى ما يَنْفَعُهم ويَظُنُّونَ أنَّ لِلْعِبادِ مَدْخَلًا في ذَلِكَ، فَلِذَلِكَ تَراهم يُضِيفُونَ الأشْياءَ إلى أسْبابٍ يَتَوَهَّمُونَها"[27]. "وإسْنادُ عَدَمِ العِلْمِ إلى أكْثَرِهِمْ، لِلْإشْعارِ بِأنَّ بَعْضَهم يَعْلَمُونَ أنَّ ما أصابَهم مِنَ الخَيْرِ والشَّرِّ مِن

جِهَةِ اللَّهِ تَعالى، أوْ يَعْلَمُونَ أنَّ ما أصابَهم مِنَ المِصائِبِ والبَلايا لَيْسَ إلّا بِما كَسَبَتْ أيْدِيهِمْ، ولَكِنْ لا يَعْمَلُونَ بِمُقْتَضاهُ عِنادًا واسْتِكْبارًا"[28] ومشايعةً لمقالة الأكثرين[29].

بعد استعراض هذه الفكرة الأساسية نرى أن سبب انحراف تصور هؤلاء الفريقين عائد إلى الخلل في فهم واستيعاب معنى العندية بمعنى الاستئثار الإلهي بالتصرف والتأثير، فلو فقهوا هذا المعنى لنسبوا كلّ شيء لله تعالى، ولما ساووا بينه وبين غيره في التأثير التام[30].

وزيادة على ذلك، فإن الجهل بهذه العندية والعمل بخلاف مقتضاها قبيح من كلّ أحد، لكنه أشد قبحا حين يتعلق بمن يعلم ويتعمد المخالفة كحال اليهود. وعند التأمل يظهر لنا أن الآيتين لهما ارتباط وثيق باليهود، ففي سورة النساء ذُكر أنهم هم الذين قالوا ذاك القول، وفي الأعراف تعرّض أسلافهم لهذا الموقف (تطير آل فرعون من موسى عليه السلام وأتباعه)، فكان الأجدر بهم أن يكونوا أول من يُدرك مبدأ استئثار الله تعالى بالتصرف والانفراد به، غير أنهم آثروا اتباع أهوائهم.

ومما يمكن ملاحظته أنهم اشتركوا في ذهنية "الاستحقاق"، إذ يرون أنهم أحرياء بالنعم[31]، وهذا ما حجبهم عن النظر في الأسباب الحقيقية وراء ما يصيبهم من خير وشرّ؛ فراحوا يحكّمون الهوى ويتألون على الله تعالى، وزعموا أن ما حلّ بهم راجع إلى وجود النبيين مُحَمَّد وموسى عليهما السلام، ولكنّهم عموْا عن السبب الحقيقي وهو كفرهم وضلالهم "لِأنَّ حُلُولَ المِصائِبِ بِهِمْ يَلْزَمُ أنْ يَكُونَ مُسَبَّبًا عَنْ أسْبابٍ فِيهِمْ لا في غَيْرِهِمْ"[32]. فهي تكشف نفسية المعاندين الذين "يفسّرون الأحداث تفسيرًا خاطئًا، ويصرُّون على أنهم مستحقون لكل حسنة، وأن السيئة إنما تحدث بسبب غيرهم"[33].

4.2 الموضع الخامس

قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ﴾ [النمل:47].

يُعد هذا الموضع شبيها بموضعي النساء والأعراف؛ إذ يكشف خللا في تصوّر قومٍ كافرين، حين تشاءموا بنبيّ الله –تعالى– صالح –عليه السلام– ومن معه، وزعموا أنهم سبب حلول المضار والابتلاءات، ففنّد صالح عليه السلام هذا الزعم الفاسد وحاول إصلاح معتقدهم فـ (قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡم تُفۡتَنُونَ)، فبيّن بأنه لا هو، ولا أتباعه، سبب شؤم كما يعتقدون، فكلّ شيء من عنده سبحانه وتعالى وليس لأحد غيره ذلك، فهو الذي يقدّر الخير والشر والسّراء والضّراء، وما حلّ بهم إنما هو من تقدير الله تعالى، وهو بسبب سوء أعمالهم وكفرهم[34].

ثم كشف لهم سبب ما حلّ بهم فقال: (بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡم تُفۡتَنُونَ)، ذكر كثير من المفسرين أن المقصود بقوله تعالى: (بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡم تُفۡتَنُونَ): الاختبار والامتحان بالسراء والضّراء، أو الضّراء فقط للنظر في موقفهم، هل يتوبون من ذنوبهم أو يتمادون فيها[35]، وهو معنى صحيح وأول ما يتبادر إلى ذهن القارئ.

غير أن ابن عاشور رحمه الله تعالى ذكر معنى آخر فقال: "وأضْرَبَ بِـ (بَلْ) عَنْ مَضْمُونِ قَوْلِهِمْ: ﴿اطَّيَّرْنا بِكَ وبِمَن مَعَكَ﴾ بِأنْ لا شُؤْمَ بِسَبَبِهِ هو وبِسَبَبِ مَن مَعَهُ، ولَكِنَّ الَّذِينَ زَعَمُوا ذَلِكَ قَوْمٌ فَتَنَهُمُ الشَّيْطانُ فِتْنَةً مُتَجَدِّدَةً بِإلْقاءِ الِاعْتِقادِ بِصِحَّةِ ذَلِكَ في قُلُوبِهِمْ"[36]. أي هم جاهلون وقليلو الفقه وواقعون في الشبهات التي يلقيها عليهم الشيطان وهذا ما دفعهم إلى هذا الاعتقاد الباطل؛ من أنه يمكن أن يشارك اللهَ شيءٌ في التأثير، أو أن يؤثر فيهم شيء دون إرادة الله تعالى. وفي الحقيقة فإن المعنى الذي ذكره ابن عاشور يَسنده ما ورد في المواضع الأخرى من نسبة من يعتقد هذا الاعتقاد الباطل إلى الجهل وعدم العلم كما في قوله تعالى: (فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثا) [النساء: 78]. (وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ) [الأعراف: 131].

ومع ذلك، فكلا المعنيين صحيح، فالذي ذكره المفسرون هو بيان الغرض من هذا الابتلاء الذي وقع عليهم، وما ذكره ابن عاشور بيان للسبب الذي أدى بهم إلى ذلك الاعتقاد الفاسد.

فالعندية في هذا الموضع تتداخل بشكل كبير مع الموضعين السابقين وبالأخص الموضع الثاني (الأعراف)[37]، وهذا يؤكد محورية المعنى الذي تسعى إلى تأسيسه وترسيخه: أن الملك لله تعالى، وهو وحده يستأثر بالتصرف كما يشاء، ولا أحد غيره يشاركه فيه.

5.2 الموضع السادس

(وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَة لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) [الأنعام: 109].

تعرض الآية الكريمة موقف المشركين الذين علّقوا إيمانهم بمجيء آية من الله تعالى، متخذين بذلك موقف المفاوض والمشترط، لا موقف الطالب للحق عن افتقار ورغبة في الهداية، بل يُشعر سؤالهم بالتعجيز والاستكبار على الرغم من وضوح البيان القرآني وإقامة الحجج والبراهين الدامغة.

فجاء الردّ الإلهي حاسما (قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ) يقرر أن الآيات من اختصاص الله تعالى وحده، وأنه المستأثر بحق التصرف لا يشاركه في ذلك أحد، حتى النبي ﷺ، وأن وقوعَ الآيات وتحديدَ زمانها خاضع لمشيئة الله المطلقة[38].

فهذه العندية تدلّ على الاستئثار الإلهي بالتصرف والتفرد به "فَكَلِمَةُ "عند" هُنا مَجازٌ، اسْتُعْمِلَ اسْمُ المكانِ الشَّدِيدِ القُرْبِ في مَعْنى الِاسْتِبْدادِ والِاسْتِئْثارِ مَجازًا مُرْسَلًا؛ لِأنَّ الِاسْتِئْثارَ مِن لَوازِمِ حالَةِ المكانِ الشَّدِيدِ القُرْبِ عُرْفًا"[39].

فيلاحظ أن "عند الله" في هذا الموضع سعت إلى تقرير حقيقة أن الله وحده هو الذي يستأثر بالتصرف كما يريد، وصحّحت فكرتهم الباطلة في مشاركة النبي ﷺ –أو غيره– لله فيما اختصّ به. وزيادة على ذلك، يظهر بوضوح إدراك النبي ﷺ لهذا المعنى والمسلمين معه، فإنه ﷺ لم يزعم أبدا أنه قادر على ذلك، ولم يصدر منه ولا من المسلمين ما يفيد أنه أفهمهم ذلك (أي مشاركته لله تعالى في بعض صلاحياته)، بل على العكس، الذي صدر منهم يُؤكد رسوخ هذه الفكرة عندهم واستقامة تصورهم لها ومعرفتهم لدور النبي ﷺ وأنه مبلّغ[40].

6.2 الموضع السابع

(وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰت مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِير مُّبِينٌ) [العنكبوت: 50].

هذا الموضع يشبه ما قبله في تصحيح المفاهيم وتقويمها والتذكير بدور النبي ﷺ في كونه مبلّغا عن الله تعالى ولا يتجاوزها إلى استجلاب الآيات والإتيان بها واقتراحها على الله تعالى، والتأكيد على استئثار الله تعالى بفعل ما يشاء وكما يشاء ولا مكره له ولا شريك له في ذلك، وأن دور الناس هو التسليم والإيمان لا الاقتراح والتدخل فيما ليس من صلاحياتهم[41].

7.2 الموضع الثامن

(قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡما تَجۡهَلُونَ) [الأحقاف:23].

جاءت هذه الآيات في نفس سياق الآيات السابقة حيث يخلط الكفار بين صلاحيات الأنبياء ودورهم، وبين ما اختصّ به الله تعالى، فيطلبون من الأنبياء عليهم السلام ما ليس من اختصاصهم، بل هو من اختصاصات الله تعالى ومما تفرد بالتصرف فيه، ف (قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ) [الأحقاف: 22]، فردّ عليهم نبيّ الله هود عليه السلام ردّا حاسما، بتقرير أن هذا من اختصاصات الله تعالى ومما انفرد بالعلم به ولا يطلع عليه أحد (قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ)، وبيّن لهم أنه واع تمام الوعي بدوره ووظيفته المتمثلة في التبليغ عن الله تعالى وليس له صلاحية في تلبية اقتراحاتهم (وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ)، ثم بيّن لهم أن الذي دفعهم إلى هذا الطلب العجيب الجهلُ بدور البلاغ المناط به وحقيقة وظيفته التي أكدها مرارا وتكرارا فقال: (وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡما تَجۡهَلُونَ)[42] "حَيْثُ تَقْتَرِحُونَ عَلَيَّ ما لَيْسَ مِن وظائِفِ الرُّسُلِ مِنَ الإتْيانِ بِالعَذابِ وتَعْيِينِ وقْتِه"[43].

فنلاحظ أن القرآن الكريم استعمل أسلوب العندية الدالة على الاستئثار والتفرّد لتصحيح تصورات منحرفة ناشئة عن الجهل بالعندية ذاتها، فبيّن من خلال ذلك أن العلم بوقت العذاب

مقصور على الله تعالى[44]. وكذلك نلاحظ نسبة قائلي هذا الكلام –الجاهلين بالعندية– إلى الجهل (وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡما تَجۡهَلُونَ) [الأحقاف: 23][45].

8.2 الموضع التاسع

(وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ 25 قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِير مُّبِين26) [الملك: 25- 26].

يشبه هذا ما سبق بيانه في موضع الأحقاف السابق من أنّ أمر العذاب مما يختصّ به الله – وحده– علما وقدرة وتصرّفا، وتُقرر الآية الكريمة من خلال العندية الدالة على الاستئثار والتفرد الإلهي حقيقة أنّ الأنبياء يعلمون وظائفهم المنوطة بهم وأن ما يسأله أولئك لا يدخل فيه؛ فلذلك كان ردّهم: (قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) "فَهو الَّذِي يَكُونُ عِنْدَهُ وبِيَدِهِ جَمِيعُ ما يُرادُ مِنهُ، لا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ"[46].

ونستشّف من الآية أن الناس في علاقتهم بمفهوم العندية بمعنى الاستئثار الإلهي بالعلم والتصرف ينقسمون إلى فئتين: فئةٌ تدرك معنى العندية، وتقدر الله حقّ قدره، فلا تتجرأ على السؤال عما لا يدخل ضمن اختصاصها، وهم الأنبياء ومَن سار على نهجهم. وفئة أخرى تفتقر إلى إدراك معنى العندية، ولا تميّز بين ما يختصّ بالله تعالى وحده وما يجوز السؤال عنه؛ فدفعهم جهلهم إلى طرح أسئلة لا تليق بمقام الألوهية، وبالخصوص حين يتعلق الأمر بالعذاب الذي –لو علموا حقيقته– ما سألوه ولا استعجلوه.

9.2 الموضع العاشر

(وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡر لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ 16 إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ) [العنكبوت: 16-17].

تستعرض الآيات الكريمة موقفا من مواقف دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه، فقد دعاهم لعبادة الله تعالى وتقواه وأخبرهم أن هذا خير لهم لو كانوا يعلمون. ثم سعى إلى تصحيح خلل عقدي جسيم عندهم يمثل مظهرا من مظاهر الشرك الذي كانوا متلبسين به وينافي عبادة الله تعالى، وهو طلب الرزق من مخلوقاتٍ مثلِهم؛ فطلبُ الرزق –وغير الرزق– من غير الله تعالى شرك، فأرشدهم –عليه السلام– بالحسنى إلى أن هؤلاء لا يملكون لهم شيئا من الرزق، وبيّن لهم أن الرزق –صغيرا أو كبيرا– لا يُطلب إلا من عند الله تعالى وحده، فهو الذي إن شاء أعطى وإن شاء منع[47].

فيلاحظ أن العندية في هذا السياق تدلّ على الملك المطلق والاختصاص والاستئثار بالتصرّف، قال ابن عاشور: "و"عِنْدَ" ظَرْفُ مَكانٍ وهو مجازٌ. شَبَّهَ طَلَبَ الرِّزْقِ مِنَ اللَّهِ بِالبَحْثِ عَنْ شَيْءٍ في مَكانٍ يَخْتَصُّ بِهِ، فاسْتُعِيرَ لَهُ "عِنْدَ" الدّالَّةُ عَلى المكانِ المخْتَصِّ بِما يُضافُ إلَيْهِ الظَّرْفُ"[48]، ولما كانت صيغة العندية أقوى في الدلالة على معنى الاختصاص والاستئثار الإلهي استعملها إبراهيم عليه السلام تقريرا لهذا المعنى وترسيخا له.

ومما يعزز معنى الاختصاص بالرزق التقديم والتأخير في جملة: فابتغوا عند الله الرزق، فقد كان يمكن القول: فابتغوا الرزق عند الله، ولكن الغرض من هذا التقديم والتأخير هو العناية بهذا المعنى "الاختصاص والحصر"، أي: حصر الرزق وقصره على الله تعالى وحده، لا يشاركه فيه غيره، ومعناه: فابتغوا الرزق عنده لا عند غيره.

وبالنظر في خاتمة الآية الكريمة يلوح لنا أن هذه الآية كلّها تدور حول تقرير معنى الاختصاص الذي دلّت عليه صيغة العندية أولا، ثم التقديم والتأخير في (عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ) ثانيا، فخُتمت بقوله تعالى: (إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ) أي: وحده لا إلى غيره، فكأنه أراد أن يقول: كما أن الرجوع إليه –وحده– أمر حتمي لا شكّ فيه، فكذلك لا بد أن يكون أمر طلب الرزق وابتغاؤه من عنده حصرا لا من غيره.

ومما يمكن ملاحظته أن القرآن الكريم عند حديثه عن العندية بمعنى الاستئثار والملك والتفرد بالأمور، غالبا ما يقرنه بنفي العلم والفهم بمن يغفل عن معناها، ففي هذا الموضع وإن لم يكن صريحا كما في الآيات الأخرى غير أن السياق يدلّ عليه، فقد قال تعالى: "وتخلقون إفكا" ومما قيل في معناها، ورجّح الطبري أنه المقصود: تصنعون كذبا وتختلقونه[49]، فعلى هذا يُفهم منه أن فكرة جعل هذه الأوثان آلهة ثم عبادتهم وابتغاء الرزق منهم –لا من عند الله تعالى– مِن ذلك، أي: هو مجرّد فكرة ناشئة عن جهل ووهم ولا تستند إلى أساس علمي وواقعي، بل لا تقف أمام أدنى حجة، وفاعل هذا لا يكون إلا جاهلا.

10.2 الموضع الحادي عشر

(وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ) [الحجر: 21].

والمراد بهذه العندية أن الله تعالى يستأثر بملك جميع الأرزاق وأصناف الأقدار ويتفرّد بالتصرّف فيها تفرّدا كاملا، وليس للناس أن يتحكموا في طلبها[50].

11.2 الموضع الثاني عشر

(يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ) [الأعراف: 187].

هذه الآية الكريمة تتحدّث عن أخص الأمور التي استأثر الله بها وأخفاها عن عباده، وتعالج خللا عقديا عند الكفار، كثيرا ما يتكرر بسبب جهلهم وسوء تصورهم لقضايا محورية متعلقة بأركان العقيدة (الربوبية والألوهية والنبوة)، فهم يفترضون أن الرسول ﷺ يعلمها أو أن من مستلزمات النبوة العلمَ بالساعة[51]، أو أنهم لقرابتهم منه ﷺ قد يُسِرُّ لهم وقتها[52]، وهذا وهمٌ منهم، ولكنّ الله علّم نبيّه كيف يردّ عليهم فقال تعالى: (قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا

هُوَۚ) أي: علمها مختص به وحده، ثم أمر بإعادة الجواب الأول فقال: (قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ) تأكيدا للحكم وتقريرا له[53] "لِأَنَّ عِلْمَ السّاعَةِ بِالتَّحْدِيدِ مَقْصُورٌ عَلى اللَّهِ –تَعالى"[54].

فنلاحظ أن الردَّ على هذا التصّور الخاطئ المتعلق بقضية محورية من قضايا العقيدة وتصحَيحه تمّ باستعمال العندية الدالة على الاستئثار بالعلم والتفرد به، وتكرر في هذا الموضع مرّتين، ما يؤكد قوة هذه الصيغة في التعبير عن هذا المعنى. وكلا الموضعين أكد أنه "لا يُسْتَطاعُ عِلْمُ شَيْءٍ مِمّا عِنْدَهُ إلّا بِإذْنِهِ، ولَمْ يَأْذَنْ في عِلْمِها لِأحَدٍ مِنَ الخَلْقِ"[55]، ومما يؤكد هذا حصرُ الكشف عن وقت وقوعها فيه سبحانه فقال: (لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ) [الأعراف: 187].

وبيّن بعد ذلك أن كثيرا من الناس لا يعلمون هذا المبدأ فقال: (قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ) "أن علمها عند الله تعالى لم يؤتِه أحدًا من خلقه"[56]. ومرة أخرى تبرز لنا العلاقة بين الحديث عن العندية الدالة على الاستئثار والتفرّد وبين جهل الناس بما هو من اختصاص الله تعالى، إذ يجهل كثير منهم ما استأثر الله بعلمه، وفي هذا السياق علمُ الساعة، ومن مظاهر ذلك السؤال الوارد في الآية الكريمة.

12.2 الموضع الثالث عشر

(يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا) [الأحزاب: 63].

هذا الموضع يماثل تماما الموضع السابق من حيث الفكرة، كما يتقاطع مع المواضع السابقة في فكرة "عندية الاستئثار والتفرّد"، واستعمال العندية كان لتقرير استئثار الله تعالى بالعلم بوقت الساعة وحصر ذلك فيه وحده. وبناء على ذلك، نكتفي بما سبق ذكره في الموضع السابق.

يبقى أن نلاحظ أنه لم يُنسَب السائلون في هذا الموضع إلى الجهل أو عدم العلم كما في الموضع السابق؛ ولعل ذلك يرجع إلى اختلاف أحوال السائلين وتنوع دوافعهم؛ إذ يشمل المؤمنين

المشفقين من الساعة، والمؤمنين الذين يسألون بدافع محبة معرفة المغيّبات، لا بقصد التكذيب أو التشكيك أو الاختبار[57].

ومع ذلك يمكن القول إن تلك الصفة تليق بالذين يسألون عن الساعة بدافع التكذيب أو التشكيك أو الاختبار؛ فاكتُفي بذكرها في المواضع السابقة بما أغنى عن إعادتها هنا.

13.2 الموضع الرابع عشر

(قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى) [طه: 52].

تعرضُ الآية الكريمة نموذجا آخر للسؤال عن أمور هي من اختصاصات الله تعالى لا يعلمها إلا هو، ويتمثّل في سؤال فرعون عن حال القرون الأولى والأمم السابقة، فكان ردّ موسى عليه السلام حاسما باستعمال صيغة العندية الدالة على أن هذا الأمر مما استأثر الله بعلمه وهو محفوظ عنده: (قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى) "أيْ: هو غَيْبٌ لا يَعْلَمُهُ إلّا هو، وإنَّما أنا عَبْدٌ مِثْلُكَ لا أعْلَمُ مِنهُ إلّا ما أخْبَرَنِي بِهِ"[58].

وزيادة على ذلك، فإن هذه الآية تؤكد أن الباعث على هذا السؤال هو الجهل، وفي هذا الموضع تبرز محاولة فرعون التهرّبَ من النقاش بعد أن أُسقط في يده؛ فلذلك حاول إشغال موسى عليه السلام بهذا السؤال الذي لا تنبني عليه فائدة، وسعى إلى تحريف النقاش إلى مجرى آخر، فما كان من موسى عليه السلام إلا أن "تَجَنَّبَ التَّصَدِّيَ لِلْمُجادَلَةِ والمناقَضَةِ في غَيْرِ ما جاءَ لِأجْلِهِ لِأنَّهُ لَمْ يُبْعَثْ بِذَلِكَ"[59].

14.2 الموضع الخامس عشر

(هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ) [الأنعام: 2].

هذا الموضع يندرج تحت موضوع استئثار الله تعالى بعلم الساعة الوارد في سورة الأعراف والأحزاب، فالعندية في الآية الكريمة "عِنْدِيَّةُ العِلْمِ، أيْ مَعْلُومٌ لَهُ دُونَ غَيْرِهِ"[60]، فاستعمل العندية

هنا للدلالة على اختصاصه تعالى بهذا الأمر وحده دون غيره، وكذلك للدلالة على "أنه ثابت لا شكّ فيه"[61].

15.2 الموضع السادس عشر

(وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ 59) [الأنعام: 59].

تُعدُّ هذه الآية الكريمة أصلًا في التأسيس للفكرة التي تدور عليها عندية الاستئثار الإلهي بالعلم والتصرف، وقبل الخوض في بيان دلالتها يَحسُن بنا الرجوع إلى الآية التي قبلها إذ عزّزت معنى العندية وأكدته حتى ولو لم تصرح به، فحين سُئل النبي ﷺ عن العذاب ووقت حلوله ردّ عليهم: (مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ) [الأنعام: 57]، ومعناه: أنه ليس في علمي ولا في مقدرتي هذا الأمر[62]، والغرض منه بيان أن ما يستعجلون به هو "عند الله تعالى" لا عند غيره؛ فلذلك قال بعدها: (إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ) [الأنعام: 57]، الذي بيده ذلك، وما أنا إلا نبيّ مرسل. فأفادت الآية الكريمة نفس معنى العندية الدالة على الاستئثار الإلهي بالعلم والمقدرة والتصرف، حتى وإن لم تصرّح بها.

ثمّ شرعت الآيات الكريمة في التأصيل لقاعدة كلية في أمر المغيّبات وما استأثر الله تعالى بعلمه والتصرف فيه لا تقتصر على حلول العذاب (الذي سبق ذكره)، فهذا فرد من دائرة واسعة، فبيّن الأمور الغيبية[63] التي يختص علمها والتصرف فيها بالله تعالى وحده، لا يشاركه فيها أحد مهما كان منزلته، فقال تعالى: (وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ)، فالعندية هنا "عندية علم واستئثار"[64]، ولتقرير هذا المعنى قُدّم الظرف لإفادة الحصر والاختصاص و"الاهتمام بهذه العندية"[65] فقال تعالى: (وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ) أي: عنده لا عند غيره[66]، فهو وحده يملك مفاتح الوصول إليها[67]، ثم أكد هذا فقال: (لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ). فما دامت هذه المغيّبات مما اختصّ الله تعالى بعلمه، فلا يجوز السؤال عنها.

ولعل هذا الموضع من أبرز المواضع الدالة على مفهوم العندية بمعنى الاستئثار الإلهي بالعلم والتصرّف. ويُمكن اعتباره أصلا لفكرة تجهيل من يخوض في المغيّبات ويسعى إلى معرفتها، أو يدعي الإحاطة بها؛ إذ إن فاعل ذلك يستحقّ وصف الجهل وقلّة الفقه.

16.2 الموضع السابع عشر

(يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ) [الرعد: 39]

وهذه الآية تدلّ على اختصاص الله تعالى بأم الكتاب[68]، وقوله: (وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ) يفيد أنه لا يطلع عليه أحد[69]، "والعِنْدِيَّةُ عِنْدِيَّةُ الِاسْتِئْثارِ بِالعِلْمِ وما يَتَصَرَّفُ عَنْهُ، أيْ: وفي مِلْكِهِ وعِلْمِهِ أُمُّ الكِتابِ لا يَطَّلِعُ عَلَيْها أحَدٌ"[70].

17.2 الموضع الثامن عشر

(إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِي نَفْس مَّاذَا تَكْسِبُ غَداًۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسُۢ بِأَيِّ أَرْض تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ 34) [لقمان: 34].

تُعدُّ هذه الآية تفصيلا لما أُجمل في الموضع السادس عشر، فقد بيّن النبي ﷺ هذه العلاقة فقال: "مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الْأَرْحَامِ، وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وما يدري أحد متى يجيء المطر"[71].

فهذه الآية –إذن– تقرّر اختصاص الله تعالى وانفراده بالعلم المطلق والقدرة المتعلقين بالمغيّبات، وقد دلّت العندية على هذا المعنى بدقة، "وفي كَلِمَة "عِنْدَهُ" إشارَةٌ إلى اخْتِصاصِهِ تَعالى بِذَلِكَ العِلْمِ؛ لِأنَّ العِنْدِيَّةَ شَأْنُها الِاسْتِئْثار"[72].

18.2 الموضع التاسع عشر

(وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ) [الزخرف: 85].

والعندية في هذا الموضع تشبه المواضع السابقة في سور الأنعام ولقمان، وتؤكد كذلك ما جاء في سورتي الأعراف والأحزاب؛ فما قيل هناك يقال هنا. ويلاحظ أن أسلوب الحصر ذاته استُعمل؛ إذ قدم الظرف ليفيد الحصر[73]، كما يلاحظ ما ورد في سورة العنكبوت من ختم الآية بأسلوب الحصر أيضا: (وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ) لا إلى غيره.

19.2 الموضع العشرون

(ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ) [البقرة: 255].

العندية في هذا الموضع تدلّ على اختصاص الله تعالى بقبول الشفاعة أو ردّها، وفيها تقرير لعظمة شأنه؛ إذ ليس لأحد أن يشفع عنده إلا بإذنه تعالى[74].

20.2 الموضع الحادي والعشرون

(وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ) [سبأ: 23].

تدلّ العندية في هذا الموضع على المعنى ذاته الذي ورد في الموضع السابق، وتبرز أن الشفاعة لا تكون لأحد عند الله تعالى إلا بإذنه؛ فهو وحده المستأثر بقبول الشفاعة أو رفضها[75].

3. معالم العندية الدالة على الاستئثار والتفرّد الإلهي وسماتها

1.3 تصحيح التصورات

تهدف العندية الدالة على الاستئثار الإلهي بالعلم والتصرف إلى تصحيح عقائد الناس وتصوراتهم بشأن مبدأ جوهري، وهو الإيمان بأن الملك كله لله تعالى، وأن التصرف المطلق له وحده. وقد تجلى هذا في جميع المواضع التي تناولناها. فعلى سبيل المثال، سعت العندية إلى ترسيخ حقيقة أن النصر من عند الله تعالى وحده، فلا ينبغي تصوّر أن الأسباب أو غيرها من العوامل هي التي تضمن النصر؛ بل الواجب الاعتماد على الله تعالى اعتمادا كلّيا. كما يبرز دور العندية في تصحيح الأفكار ونقض التصورات المنحرفة عند معالجة مسألة التشاؤم بالأشخاص والأحوال، من خلال بيان أن جميع الأشياء تجري بمشيئة الله تعالى وتقديره.

ومن المفاهيم المحورية التي عالجتها العندية الدالّة على الاستئثار والتفرّد، وسعت إلى تصحيحها، قضية المغيّبات مثل: علم الساعة، واستنزال العذاب وغيرها من القضايا التي تدخل في نطاق الاستئثار الإلهي. فبيّنت لهم بشكل حاسم أن هذه القضايا يتفرد الله تعالى بها علما وقدرة؛ وعليه فلا يجوز السؤال عنها، ولا سيما إذا كان على سبيل التهكم كما يفعل بعض الكافرين.

فجميع هذه القضايا –على تنوعها[76]– تشترك في كونها مما يختص الله تعالى بها وحده، وتخرج عن نطاق قدرة الإنسان، وكان غرض الآيات التذكيرَ المستمرَ بهذا المبدأ العقدي العظيم.

2.3 ثمرات الإيمان بالعندية الدالة على الاستئثار الإلهي

بالإضافة إلى تصحيح المفاهيم والتصورات فإن من أبرز ثمرات العندية الدالة على الاستئثار ما يأتي:

– **ترسيخ مبدأ التسليم لله تعالى وتعميق الافتقار إليه:** إن إدراك الإنسان أن جميع الأمور مردّها إلى الله تعالى يعزز شعوره بالافتقار إليه تعالى، ويرسّخ عنده مبدأ التسليم لربه والتفويض له، فلا يجادل ولا يناقش، كما لا يغترّ بقدراته في جميع ما يُقدم عليه، بل يلجأ إلى ربه يطلب منه

المعونة في جميع الأمور؛ كما أرشدت إلى ذلك الآيات التي تحدثت عن النّصر وأنه من عند الله تعالى وحده[77].

– **رسم حدود العلاقة بين العبد وربّه**[78]: إن الإيمان بأن بعض الأمور والقضايا مما يختص الله تعالى به علما وقدرة يعيد رسم حدود العلاقة بين الله تعالى وعباده؛ ما يمنعهم من تجاوز حدودهم في طلب ما لا سبيل إليه. وقد تجلى هذا في ردود الأنبياء التي كانت تَفيض أدبا مع الله تعالى على أسئلة قومهم "الفضولية" "الجاهلية" "التعجيزية" "العبثية"[79]، حيث بيّنت لهم بشكل حاسم أن ما يسألون عنه مختص بالله تعالى وحده، ولم تُشعر –ولو من بعيد– أن لهم مشاركة في بعضها بسبب مكانتهم عند الله سبحانه، بل بيّنوا بشكل واضح أن دورهم لا يعدو التبليغ عن الله سبحانه، كما في قوله: (قلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِير مُّبِينٌ).

–**تحقيق الراحة والطمأنينة النفسية**: يُسهم الإيمان اليقيني بالعندية الدالة على الاستئثار والتفرّد الإلهي في تحقيق الراحة النفسية، إذ يعالج التصورات والمفاهيم الخاطئة التي ترهق الإنسان وتفتح عليه أبواب الوسوسة والاضطراب. وهي تصورات تتسلّط على النفس البشرية وتعدّ من مداخل الشيطان. فحين يوقن الإنسان أن النصر والرزق وسائر المقادير بيد الله تعالى وحده؛ يزول عنه القلق ويتعلّق قلبه بربه، ويلتزم بتوجيهاته، بخلاف من يربط النصر بالأسباب والأشخاص فإنه يظل مذبذبا، متقلب المزاج، ومضطرب النفس رهينا لتغير الأحوال. ومثاله كذلك، تشاؤم الإنسان بما يحلّ به من مصائب وربطها بالأشخاص أو الأحوال، مع الغفلة عن أن كلّ ما يجري إنما هو بتقدير الله تعالى، وهذا يدخله في دوامة من الوسوسة والشك والانطواء. أما إذا تحقق بمعنى العندية الدالة على الاستئثار والتفرد الإلهي؛ فإنه يعيش استقرارا نفسيا وطمأنينة عميقة.

3.3 مخالفة العندية الدالة على الاستئثار والتفرّد الإلهي وعلاقتها بالجهل

عند التأمل في الآيات القرآنية التي وظّفت أسلوب العندية الدال على الاستئثار الإلهي، نجد أنها كثيرا ما تصف مخالفي معاني العندية بالجهل؛ إذ إن عدم إدراك هذا المبدأ العقدي الراسخ ناتج عن قصور في العلم، فلو كانوا مدركين لما يختص بالله تعالى لما تجرؤوا على طلب تلك الأمور. وهذه

بعض أوصافهم التي صرّح بها القرآن الكريم في مواضع متعددة كما في قوله تعالى: (قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثا) [النساء: 78]، وقوله تعالى: (أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ) [الأعراف: 130- 131][80].

وفي الحقيقة، فإن بعض الآيات الأخرى التي تناولت العندية الدالة على الاستئثار الإلهي يُستشف منها أن مخالف العندية يستحق وصف الجهل حتى وإن لم تُصرّح بذلك. ومثاله قوله تعالى: (وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰت مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِير مُّبِينٌ) [العنكبوت: 50]، (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ 25 قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِير مُّبِين) [الملك: 25-26]، ففيها تعريض بجهلهم إذ بين لهم وظيفته وأنها مقتصرة على التبليغ، فكيف يجهلون هذا ويطلبون منه ما يتجاوز صلاحيته.

ومثلها الآيات التي فيها ردّ العلم لله تعالى كما في قوله تعالى: (وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَة لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ) [الأنعام: 109][81]، ففيها تعريض بأن هذا مما يختص به الله تعالى، فلا ينبغي أن تسألوا عنه.

ومثلها الآيات التي تحصر علم الغيبيات في الله تعالى وحده، كما في قوله تعالى: (وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّة فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡب وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰب مُّبِين 59) [الأنعام: 59][82]. فالآية تدلّ على أن من ادّعى علمها فقد كذب، وبطبيعة الحال فإن السؤال عن هذه الأمور من قلّة العلم والفهم ودليل على الجهل بالاستئثار الإلهي.

وخلاصة القول، إن تلك الأسئلة والطلبات المتكررة ناشئة عن عدم استيعاب مبدأ العندية بمعنى الاستئثار الإلهي والتفرد علما وقدرة وتصرفا، وهو ما جعلهم يستحقون وصف الجهل وقلّة الفهم وعدم العلم، فلو كانوا يعلمون ما يختص به الله عز وجل ما تجرؤوا على طلب هذا منه فضلا عن غيره[83].

4.3 مسلكية الإرشاد إلى البديل النافع الصالح

ومما تميزت به العندية الدالة على الاستئثار أنها -إضافة إلى تصحيح التصورات وتقويم المفاهيم- تحمل في طياتها صرف الناس إلى ما هو أهم وأولى. فبعض ما كانوا يطرحونه من الأسئلة التعجيزية أو التهكمية إنما هو هروب من الحقيقة: فقد سألوا النبي ﷺ المجيء بالآيات (وهي ليست من صلاحياته) وكان الأولى بهم أن ينظروا فيما جاءهم من الآيات السابقة. وكذلك سألوه عن الساعة ونزول العذاب (وهي ليست من صلاحياته) وكان الأولى بهم أن يهتموا بالعمل بما ينجيهم عند حلولهما[84]. وتشاءموا بالأنبياء والصالحين، وهذا حجبهم عن النظر في الأسباب الحقيقية وراء ما أصابهم من خير وشرّ؛ والأولى أن يراجعوا أنفسهم ويحاسبوها، فما أصابهم إنما هو من عند أنفسهم.

5.3 البعد الزمني للعندية الدالّة على الاستئثار الإلهي (المكي والمدني – تجاوز حدود الزمن)

– المكي والمدني: لو تأملنا الآيات التي وردت فيها العندية بمعنى الاستئثار الإلهي لظهر لنا أن معظمها مكيّ، في حين ورد أربعة منها في القرآن المدني، ويمكن تفسير هذا بأن الآيات المكية ركّزت على القضايا المفاهيمية المتعلقة بالعقيدة، وهي القضية الجوهرية للدعوة الإسلامية في تلك المرحلة. ومع ذلك نلحظ أن العندية التي وردت في القرآن المدني مثل [النساء: 78] جاءت لتؤكد المعنى ذاته الذي تناولته الآيات المكية كقوله تعالى في [الأعراف: 130- 131]، [النمل: 47]، ويظهر أن الغرض من هذا التكرار هو التذكير وترسيخ هذا المبدأ العقدي المهم؛ لأن المسلمين بعد انتقالهم إلى المدينة وجدوا أنفسهم في بيئة جديدة، وخاضوا فيها تجربة مماثلة لما حدّثهم عنه القرآن في المرحلة المكية فاحتاجوا إلى إعادة التوجيه. كما أن الموضع المدني يتعلق بالمجتمع المسلم بشكل مباشر، بخلاف ما سبقه من آياتٍ فإنها تناولت مواقفَ الأمم السابقة، فهي أقرب إلى الجانب النظري التأسيسي، ثم واجهوا مضمونها عمليا عندما تعاملوا مع المنافقين واليهود حين نسبوا إليهم ما أصابهم من شر[85].

– **الحضور الدائم وتجاوز حدود الزمان:** من استقراء النصوص القرآنية التي تناولت العندية الدالة على الاستئثار الإلهي يتّضح لنا أن هذا المبدأ يتميز بأصالةٍ راسخةٍ وحضورٍ ممتد عبر التاريخ البشري؛ فقد انحرفت عنه طوائف من الأمم السابقة في عصور صالح وإبراهيم وموسى ومُحَمَّد عليهم السلام، فصدر عنها تصوّرات باطلة ومفاهيم سقيمة سجّلها القرآن الكريم وأبطلها، وبيّن في المقابل الموقف السليم الأصيل من هذه القضية، الذي تجلّى في موقف الأنبياء بكلّ ثقة ويقين: (قُلۡ كُلّ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ) [النساء: 78]، (قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۖ) [الأحزاب: 63] فحريٌّ بمن كان ذا لبّ وعقل الالتزام بهذا المبدأ العقدي الراسخ.

ولعل تكراره في مواضع من القرآن الكريم عبر عصور مختلفة دليل على أن الخلل سريع الوصول إلى هذه المبدأ الجوهري، فهو دعوة إلى الاهتمام به وتعاهده حتى يترسخ في نفوس المسلمين ولا ينحرفوا عنه.

الخاتمة:

في ضوء ما تم استعراضه حول العندية الدالة على الاستئثار الإلهي توصل الباحثان إلى جملة من النتائج والتوصيات، وهي كما يأتي:

أ– النتائج:

– تعبّر عندية الاستئثار المضافة إلى الله تعالى عن الانفراد الإلهيّ بالأمورِ العظيمةِ علما وملكا وتصرّفا وقدرة؛ على وجهٍ لا يشاركه فيه أحد مهما علت منزلته.

– أن العندية الدالة على الاستئثار والتفرّد الإلهي بالعلم والتصرف تهدف إلى تصحيح العقائد والتصورات بشأن مبدأ جوهري وهو الاعتقاد بأن العلم والملك والتصرف المطلق خاص بالله تعالى، وقد عالجتْه من خلال قضايا شتى (كحقيقة النصر، والتشاؤم، وعلم الساعة وغيرها)؛ وهو ما يبرز البعد التفاعلي للعندية.

– من أبرز ثمرات الإيمان بالعندية الدالة على الاستئثار الإلهي: ترسيخ مبدأ التسليم لله تعالى وتعميق الافتقار إليه، ومعرفة حدود العلاقة بين العبد وربّه، فضلا عن تحقيق الراحة والطمأنينة النفسية.

– أن الجهل بالعندية الدالة على الاستئثار والتفرد الإلهي يفضي بصاحبه إلى السؤال عن أمور لا يليق به طلبها؛ لما فيها من تعدّ على ما اختصّ الله بعلمه والتصّرف فيه. وفي الوقت ذاته، توجّه العندية الناس إلى ما هو أهم وأنفع لهم في دينهم ودنياهم.

– أنّ أغلب مواضع العندية الدالة على الاستئثار الإلهي مكية، وهو ما يتماشى مع التوجّه القرآني في التركيز على البناء العقدي في المرحلة المكية، وما ورد منها في المرحلة المدنية كان الغرض منه توجيه المسلمين وتثبيتهم على ذلك المبدأ.

– أن عرض القرآن الكريم للعندية الدالة على الاستئثار الإلهي يبرز حضور هذا المبدأ الدائم عبر التاريخ البشري وتجاوزه لحدود الزمان؛ بما يؤكد دوره الفعال في ترسيخ معاني الاستئثار الإلهي ومعالجة الانحرافات التي تعرض له.

ب– التوصيات:

– إجراء دراسة موضوعية للعندية في القرآن الكريم من خلال استقراء أبعادها المختلفة، ثم عقد مقارنة بين هذه الأبعاد؛ لتشكيل تصور متكامل لدلالاتها ومجالات توظيف القرآن الكريم لها.

– تفعيل معاني العندية الدالة على الاستئثار الإلهي في البرامج التعليمية والإعلامية والخطاب المسجدي؛ خصوصا مع انتشار موجة الإلحاد في العصر الحاضر.

– تتبع أساليب الحصر المصاحبة للعندية الدالة على الاستئثار والتفرّد الإلهي.

المصادر والمراجع:

1. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، زاد المسير في علم التفسير، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1422هـ).

2. ابن جزي، مُحَمَّد بن أحمد أبو القاسم، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: علي بن حمد الصالحي، (مكة المكرمة: دار الطيبة الخضراء، ط5، 2023).

3. ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984هـ).

4. ابن منظور، أبو الفضل مُحَمَّد بن مكرم بن علي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ).

5. أبو السعود، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مصطفى العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (بيروت: درا إحياء التراث العربي، د.ت).

6. البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، (دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة، ط5، 1414هـ، 1993م).

7. البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحت مراقبة: د. مُحَمَّد عبد المعيد خان، (حيدر آباد – الهند: دائرة المعارف العثمانية، 1389 – 1404هـ، 1969 – 1984م).

8. البيضاوي، ناصر الدين، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418هـ).

9. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ، 1987م).

10. حسين، عبد الحكيم عبد الرحم علي، آيات العندية كما جاءت في القرآن الكريم دراسة عقدية، (مصر: مجلة كلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسوان، 2021م)، المجلد4، العدد4.

11. حسيني، مُحَمَّد أمين، العندية المضافة إلى لفظ الجلالة في القرآن الكريم: دراسة موضوعية في بعدها المعياري، (اليمن: مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 2025م)، العدد137، المجلد 12.

12. الرازي، مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتح الغيب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ).

13. الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، (القاهرة – بيروت: دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ، 1987م).

14. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: الرسالة، 1420هـ، 2000م).

15. الشحات، شيرين السيد مصطفى، العندية في القرآن، (مصر: المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، 2022م)، المجلد34، العدد3.

16. الطبري، أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، (القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1422هـ/ 2001م).

17. طنطاوي، مُحَمَّد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997- 1998م).

18. المجيدي، عبد السلام، الوسيط في تفسير سورة الأعراف، (دمشق: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1445هـ، 2024م).

19. النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي البديوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، 1419هـ، 1998م).

الهوامش:

[1] الشحات، شيرين السيد مصطفى، العندية في القرآن، (مصر: المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، 2022م)، المجلد34، العدد3.

[2] عند الرجوع إلى الموضع المشار إليه تبين أنها أربعة مطالب: إحاطته بخزائن كلّ شيء، سعة علمه تعالى، علم الساعة، الدلالة على علم الغيب.

[3] لم نجد هذه النقطة في الموضع المشار إليه.

[4] حسين، عبد الحكيم عبد الرحم علي، آيات العندية كما جاءت في القرآن الكريم دراسة عقدية، (مصر: مجلة كلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسوان، 2021م)، المجلد4، العدد4.

[5] حسيني، مُحَمَّد أمين، (اليمن: مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 2025م)، العدد137، المجلد 12.

[6] الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ، 1987م)، ج2، ص513، وينظر: ابن منظور، أبو الفضل مُحَمَّد بن مكرم بن علي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ)، ج3، ص309.

[7] ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984هـ)، ج7، ص437. ومثله العندية التي في قوله تعالى: (وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ) [الأنعام: 59]، فهي "عِنْدِيَّةُ عِلْمٍ واسْتِئْثارٍ ولَيْسَتْ عِنْدِيَّةَ مَكانٍ"، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج7، ص270.

[8] قمنا باستقراء جميع مواضع العندية المضافة لله تعالى وقد بلغت 18 صيغة مختلفة، مثل: عند ربهم، عنده، وغيرها. ولم نورد تفاصيل البحث الإحصائي حول صيغ العندية الأخرى مخافة الإطالة.

[9] يجدر التنبيه إلى أن لفظة "عند" تتنازعها أحيانا دلالات مُتعددة، وقد اقتصرنا هنا على ما يدلّ دلالة واضحة على معنى الاستئثار والتفرّد الإلهي، وأفادتْهُ عبارات جمهور المفسرين كذلك. ومع ذلك، توجد مواضع محدودة جدا قد تُفهم فيها "عند" على أحد معاني الاستئثار والتفرد الإلهي؛ غير أنّا رجحنا –بحسب السياق القرآني– عدم حملها على ذلك؛ ولذلك لم نذكرها. يُنظر على سبيل المثال [المؤمنون: 117] إذ إن معظم المفسرين لم يذكروا في هذا الموضع دلالة الاستئثار والتفرد الإلهي، غير أنه قد يُفهم هذا الوجه من كلام البقاعي في نظم الدرر، ج13، ص198. وربما يفهم نظيره كذلك عند ابن عاشور في التحرير والتنوير، ج18، ص136.

[10] راعينا في الترتيب أوّلية الورود في المصحف الشريف، ثم ثنينا بالمواضع المشابهة لها ولو جاءت متأخرة. استثنينا من ذلك موضع سورة العنكبوت (فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ) حيث قدمناه على مواضع علم الساعة والغيب عموما؛ نظرا لكثرة الآيات المتعلقة بهذا الموضوع.

[11] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحت مراقبة: د. مُحَمَّد عبد المعيد خان، (حيدر آباد – الهند: دائرة المعارف العثمانية، 1389 – 1404هـ، 1969 – 1984م)، ج8، ص233.

[12] الطبري، أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، (القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1422هـ/ 2001م)، ج6، ص38.

[13] البيضاوي، ناصر الدين، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418هـ)، ج3، ص52.

[14] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج8، ص233.

[15] أبو السعود، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مصطفى العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (بيروت: درا إحياء التراث العربي، د.ت)، ج2، ص82.

[16] لم نعدّ هذا الموضع؛ لأن هذا قول المنافقين أو اليهود أو غيرهم، ومحال أن يكونوا قاصدين العندية بمعنى الاستئثار والتفرّد الإلهي.

[17] قيل: إنهم المنافقون واليهود، وقيل: المنافقون، وقيل: اليهود. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، زاد المسير في علم التفسير، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1422هـ)، ج1، ص435. وقيل: الذين دخلوا في الإسلام حديثا من قبائل العرب، وقيل: ناس من الأعراب، ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص129، 130. وهذا الصنيع غير مستبعد من تلك الأصناف، وجائز أن يكونوا قالوه أو فكروا فيه في مرحلة من المراحل.

[18] ذكر ابن عاشور أن هذا القول قد يكون نفسيا؛ إذ لم تكن لهم الجرأة على قوله للنبي ﷺ عَلَنا، ويمكن أن يكونوا قالوه بين إخوانهم، كما أن هناك من لا يُستبعد منه أن يكون شافه النبي ﷺ بقوله: هذه من عندك؛ كجفاة الأعراب. ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص129، 130. ومهما تكن صفة القول؛ فإنه في النهاية يعبّر عن اعتقاد متجذّر في أنفسهم وعقلية ينظرون بها إلى الأمور.

[19] الطبري، جامع البيان، ج7، ص238، الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، (القاهرة – بيروت: دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ، 1987م)، ج1، ص538، ابن جزي، مُحَمَّد بن أحمد أبو القاسم، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: علي بن حمد الصالحي، (مكة المكرمة: دار الطيبة الخضراء، ط5، 2023)، ج1، ص504. البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج5، ص335، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص129، 130.

[20] الطبري، جامع البيان، ج7، ص239، وينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص538.

[21] أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص205.

[22] الطبري، جامع البيان، ج7، ص240، 241.

[23] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص131، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص205.

[24] يُنظر: الطبري، جامع البيان، ج10، ص376، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص65، 66، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: الرسالة، 1420هـ، 2000م)، ص301.

[25] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص67، طنطاوي، مُحَمَّد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997- 1998م)، ج5، ص358.

[26] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج8، ص40، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج3، ص264، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج3، ص30.

[27] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج8، ص40، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج3، ص30.

[28] أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج3، ص264.

[29] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص67.

[30] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص131.

[31] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص67.

[32] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص67.

[33] المجيدي، عبد السلام، الوسيط في تفسير سورة الأعراف، (دمشق: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1445هـ، 2024م)، ص321.

[34] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج14، ص170. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج19، ص281. طنطاوي، التفسير الوسيط، ج10، ص337.

[35] الطبري، جامع البيان، ج18، ص88. النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي البديوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، 1419هـ، 1998م)، ج2، ص611، البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج14، ص175. السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص606، طنطاوي، التفسير الوسيط، ج10، ص337.

[36] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج19، ص281، وينظر: الرازي، مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتح الغيب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ)، ج64، ص560.

[37] فما لوحظ هناك يلاحظ هنا.

[38] أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج3، ص172.

[39] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج7، ص437.

[40] جاء في حديث خباب: "شَكَوْنا إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقُلْنا: ألا تَسْتَنْصِرُ لنا؟ ألا تَدْعُو لَنا؟" فلم يطلبوا النصر منه مباشرة، بل طلبوه من الله تعالى؛ لإدراكهم صلاحيات النبيّ ﷺ وحدودها. البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، (دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة، ط5، 1414هـ، 1993م)، ج6، ص2546، ر6544.

[41] يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج21، ص13، 14، الطبري، جامع البيان، ج18، ص428، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج7، ص43.

[42] يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج26، ص47، 48، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج5، ص115.

[43] أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج8، ص85.

[44] يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج26، ص48.

[45] ومن مظاهر جهلهم استعجالهم العذاب بعدما رأوا الآيات، فالعاقل لا يفعل هذا أبدا.

[46] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج20، ص64، وينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج9، ص10.

[47] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج14، ص413.

[48] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج20، ص226.

[49] الطبري، جامع البيان، ج18، ص374، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج20، ص225.

[50] ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص430، الرازي، مفاتح الغيب، ج13، ص112.

[51] أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج3، ص301.

[52] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص205.

[53] أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج3، ص301.

[54] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص202.

[55] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج8، ص187.

[56] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج3، ص44، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج3، ص302.

[57] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج22، ص112، 113.

[58] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج4، ص69.

[59] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص234.

[60] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج7، ص131.

[61] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج7، ص9.

[62] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج7، ص267.

[63] النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: ج1، ص509.

[64] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج7، ص270.

[65] طنطاوي، التفسير الوسيط، ج14، ص81، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج9، ص10.

[66] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج7، ص270.

[67] النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج1، ص509.

[68] قيل معناه: وعنده الحلال والحرام. وقيل: وعنده جملة الكتاب وأصله. وقيل: علم الله ما هو خَالقٌ وما خَلْقُه عاملون، فقال لعلمه: كُنْ كتابًا، فكان كتابًا. الطبري، جامع البيان، ج13، ص571، 572.

[69] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص166.

[70] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص168.

[71] البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص351، ر992.

[72] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج21، ص196.

[73] ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص770.

[74] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج1، ص157، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج1، ص209، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص21.

[75] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج22، ص187.

[76] المغيّبات عموما (كعلم الساعة، ونزول العذاب، ومعرفة أخبار الأمم السابقة)، وتحقيق النصر، وتقدير الرزق، ونفي التشاؤم، ونفي إمكانية الشفاعة بغير إذن الله تعالى.

[77] يُعد قرار عمر بن الخطاب بعزل خالد بن الوليد –ﷺ– مثالا بارزا على فقهه العميق ونظره الدقيق، إذ سعى من خلال هذا العزل إلى صيانة العندية الدالة على الاستئثار الإلهي في نفوس المسلمين، حتى لا يُخدش هذا المعنى العظيم لديهم، فيتعلقوا بالأسباب في تحقيق النصر، بدلا من التعلق بالله تعالى وحده.

[78] تحديد الدور المناط بالرسل وأنه لا يتجاوز تبليغ ما أوحى الله به إليهم.

[79] هذا النوع من التفكير ناشئ عن سوء الفهم لهذه العلاقة.

[80] وينظر: [الأعراف: 187]، [الأحقاف: 23].

[81] وقوله: (قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى) [طه: 52]، وقوله تعالى: (يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا) [الأحزاب: 63].

[82] مثل قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ) [الأنعام: 2]، وقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ 34) [لقمان: 34].

[83] ينطبق هذا المعنى على جميع الآيات التي وردت فيها العندية الدالة على الاستئثار الإلهي، كما في قوله تعالى: وما النصر إلا من عند الله، إذ يُفهم من السياق أن نسبة النصر إلى غير الله تعالى أو الاعتقاد بأن للأسباب يدا في تحقيقه؛ يستحق صاحبه الوصف بالجهل وقلّة الفقه.

[84] وكأنها تقول لهم: ما ينبغي أن تعرفوه ليس الزمان، بل ما يجب عليكم فعلُه. ينظر هذا المعنى عند البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج8، ص187.

[85] ومثله ما يتعلق بعلم الساعة، فجميع الآيات مكية باستثناء موضع الأحزاب فهو مدني. وينسحب الأمر ذاته على موضوع النصر؛ إذ إن الموضعين اللذين تناولاه مدنيان، فيمكن اعتبارهما جانبا تطبيقيا وعمليا لمعاني العندية الدالة على الاستئثار الإلهي التي تشرّبها المسلمون خلال المرحلة المكية.